رجل الحرب ورجل السلام

مبادرة السلام

بقلم: سعيد عبد الكريم الخطابي.

حيث ذكر أن السادات كان بإمكانه أن يستغل العقد النفسية التي أصابت العقل العربي ولكنه اختار الطريق الصعب تحمل المسئولية.

وذكر أنه كان لابد من هزه لتغيير تلك العقلية فكان قراره الحكيم 6 أكتوبر وحدثت معجزة العبور في نفس الوقت الذي سيطر فيه اليأس على الجميع بعد هزيمة 1967.

ثم تناول بعد ذلك موقف إسرائيل منا بعد هزيمتهم في 73 وأنه من المستحيل عمل سلام معهم وأخيراً جاءت مبادرة السلام مفاجئة لم تخطر على بال بشر. ويستكمل قائلاً أننا كنا في حيرة لم يتوقعها أحد كيف ستكون هذه الخطوة.

وانتهى حديثه قائلاً " إن مختلف الأراء في الصحافة العالمية عبرت عن رأيها في مسألة مبادرة السلام التي قادها محمد أنور السادات.

جعلت تقول: لم يعد أمام إسرائيل إلا محاولة الرد على هذه المبادرة بما يضاهيها من الجرأة وهو قبولهم الجلاء عن كل الأراضي العربية المحتلة.

رجل الحرب ورجل السلام

كان في استطاعة السادات أن يستمر في سياسة الشعارات ويتحدث عن الحرب سنين طويلة ويحكم بالإرهاب بحجة الاستعداد للمعركة وسوف يجد من يصفق له على الدوام وتبقى الأراضي العربية محتلة إن لم تزد إسرائيل في التوسع بحجة الدفاع عن نفسها وأمنها ويكون عندها كل الحق للاحتفاظ بالأراضي المحتلة والتوسع أكثر وكلنا نشهد ما يقع في جنوب لبنان

وهذا ما حدث فعلاً في الماضي والمسألة لا تحتاج إلى نقاش فالأمر واضح كل الوضوح.

نعم كان السادات يستطيع أن يستغل العقد النفسية التي أصابت العقل العربي ويستمر في استغلالها ولكنه اختار الطريق الصعب طريق تحمل المسئولية والتفكير الهادئ الذكي المخلص.

وللأسف عاشت هذه المنطقة أكثر من ربع قرن في الشعارات الجوفاء التي رفعتها قيادتها كواجهة لإخفاء وعجزها عن السير في الطريق الصحيح فالعاجز دائماً يرتفع صوته وتزيد تشنجاته.

وقد أدى ذلك إلى التوسع الإسرائيلي والتخاف العربي وهو ما أوصلنا إلى هزيمة 1967 المشئومة.

كان لابد من هزة لتغيير تلك العقلية والتخلص من تلك العقد ومن مخلفات عهد الشعارات. فكان قرار حرب أكتوبر الذي بدأ عصراً جديداً في التصرف والتفكير والإحساس العربي وحدثت معجزة العبور في الوقت الذي كان اليأس يتملك نفوس الجميع.

وأصبح أمام العرب طريقان أما طريق محاولة فهم المنطق الذي يسود الرأي العام الأمريكي بصفتها دولة كبرى وحكومته أو المضي في الطريق القديم وهو زيادة الصراخ والعويل والسب الذي لا يؤدي إلا إلى ما أدى إليه سابقاً.

فاختارت القيادة المصرية الجديدة الطريق الأول وهو الدخول في معركة كسب الرأي العام الأمريكي والعالمي وأفلحت القيادة في ذلك وبدأ الرأي العام الأمريكي والعالمي يتفهم ويميل إلى جانب خط السير العربي الجديد.....

وتغيرت صورة العرب المعتدين المنادين بالحرب وبإلقاء إسرائيل في البحر إلى قوم مسالمين يطالبون بحقوقهم المشروعة ولا يرغبون إلا في العيش في سلام ليتفرغوا إلى بناء الداخلي وحل مشاكل التخلف.

ولكن التحول سار ببطء لأن إسرائيل تعرف كيف تتعامل مع العالم وكيف تستغل أي تصريح عربي غير مسئول في استمرار الصورة القديمة لها وللعرب، وساعد على ذلك قصور التصرف العربي- رغم تغير مساره- عن توضيح الصورة المطلوبة بشكل كاف. فلم يقع الإجماع العربي لتغيير الصورة بالسرعة المطلوبة ولم يقتنع العالم تماماً بصدق نية العرب ورغبتهم في السلام.

واستغلت إسرائيل ذلك في المحاورة والدوران.. فتارة تقول المفاوضات المباشرة مع الأطراف المعنية كل على حدة وتارة أخرى تتحدث عن الحدود الآمنة ومرة ثالثة تتحدث عن طبيعة السلاح... إلخ.

وكان أصعب شيء على السادات هو تغيير العقلية التي كانت تتحكم في الوجدان العربي وتنعكس على جميع تصرفاته حتى أصبح كيانه معتلاً لا ينفك ينادي بالحرب ويهدد ويتوعد ولكنه لا يقوم بأي خطوة جادة في الطريق الذي يتحدث عنه وأصبح التباين واضحاً بين أقوال العرب وأعمالهم فمن يسمع أقوالهم يظن أنهم أعدى أعداء الصهاينة ومن يتأمل فعالهم يجدها برداً وسلاماً على إسرائيل .. ولم تكن القيادة الإسرائيلية تأمل في أحسن مما هو قائم وكانت تبنى استراتيجيتها الخارجية والداخلية على هذا الأساس وكانت تعتقد أن هذا الواقع سيستمر فيتيح لهم العرب بذلك الفرصة لتعبئة الرأي العام اليهودي للحرب دفاعاً عن النفس ويقدمون لهم الحجة للحصول على ما يشاءون من أسلحة من الترسانة الأمريكية التي لا تستطيع أن تتجاهل طلباتهم .. فكيف يترك شعب ليكون فريسة لمن يرغب في إلقائه في البحر .. فلم يكن أمام الشعب اليهودي إلا الالتفاف حول قيادته لإنقاذ مصيره ولم يكن أمام الشعب الأمريكي إلا تدعيم هذا الالتفاف وتأييده.و كان من نتائج سياسة مصر الحالية التي تتسم بالواقعية والموضوعية تغيير هذا المفهوم وإثارة الشك في حقيقة نوايا إسرائيل وبدأ الرأي العام الأمريكي يتردد في تأييده المطلق لإسرائيل وثار فيه الشك حتى أن نتيجة استطلاع الرأي في امريكا دلت على أن إسرائيل قد فقدت من 35 إلى 40 بالمائة من التأييد الأمريكي شبه المطلق ثم جاءت مبادرة السادات الأخيرة لتضع كل شيء في مكانه الصحيح وتكشف عن نوايا العرب السلمية وتفقد الإعلام الإسرائيلي كثيراً من فعاليته وقوته وسيصبح من الصعب الدفاع عن سياسة إسرائيل التوسعية وهذا هو بيت القصيد في هذه المبادرة حيث أن الجميع كان يشعر قبل هذه المبادرة أن مساعي السلام قد أصابها الفتور وأفلحت إسرائيل في أن تجمد الأوضاع على ما هي عليه وتصل بالسلام في المنطقة إلى طريق مسدود وكان على العرب أن يعطوا قوة دفع جديدة لمساعي السلام حتى يزيلوا ما تبقى من شك في نفوس الرأي العام العالمي والأمريكي بخصوص نواياهم السلمية.

والواقع أننا جميعاً كنا في حيرة كيف يمكن أن يستمد السلام قوة دفع جديدة ! وجاءت مبادرة السادات الشجاعة مفاجئة لم يتوقعها أحد وأعطت لمنطق العرب قوة وعمقاً لم يكن لأحد أن يحلم بهما وأصبحت القيادات العدوانية " الصقور" في إسرائيل في وضع لا تحسد عليه وكذا وضعت الشعب الأمريكي بحزم أمام مسئولياته الإنسانية والتاريخية .. إن مختلف الآراء في الصحافة العالمية تعبر عن هذا الرأي حين تقول أنه لم يعد أمام إسرائيل إلا محاولة الرد على

هذه المبادرة بعمل يضاهيها في الجرأة وهو قبولهم لمبدأ الجلاء من كل الأراضي العربية المحتلة.

وإنشاء دولة فلسطين لأن هذا هو الحد الأدنى للتدليل على حسن نواياهم. وعلينا أن ندرك أن الأهداف التي توخاها الرئيس السادات من المبادرة قد تحققت بالفعل وظهر للعالم بكل وضوح صدق نية العرب في الوصول إلى السلام حتى ولو لم يحصل على اتفاق سلام وهذا في رأيي لن يحدث فإسرائيل لن تنسحب بهذه السهولة من كل المناطق المحتلة ومما هو جدير بالذكر أن التاريخ قد علمنا أن أقدر الناس على خوض الحروب هم من يرغبون فعلاً في السلام وأن أ،ل من يهرب ساعة الحرب هو من كان صوته عالياً بالتهديد والوعيد قبل وقوعه.

فالسادات قد صرح بأنه ذاهب ليقنع الشعب الإسرائيلي والعالم بحسن نواياه ثم فليحتمل الجميع مسئولياته وكلمة أخيرة لتجار السياسة المزايدين نقول لهم أن الزعامة الحقيقية لا تأتي بالشعارات والمزايدات والديماجوجية إنما تأتي نتيجة للإخلاص والأعمال الجريئة الشجاعة الواضحة التي تستهدف الخير للأمة والسلام.

www.anwarsadat.org